المحاضرة رقم 02: تطور الفكر الإداري، في الحضارات القديمة

1- ظهور الإدارة:

إن الإدارة قديمة قدم الإنسان إذ أنه وباعتبار هذا الأخير يُعْمِلُ عقله لحل مشاكله فإنه بذلك سيلجأ بطريقة فطرية إلى التفكير في مستقبله والاستعداد له (إنه التخطيط) وضمن الأسرة نجد الآمر والمأمور ضمن سلطة أبوية (إنه التنظيم والسلطة) ويخضع الأفراد فيها وفي المجتمع لنصح وإرشاد من أطراف نافذين فيه (إنه التوجيه) كما أن سلوك الفرد حيثما حل يخضع للمتابعة الذاتية ولرقابة أوليائه وأوصيائه (إنها الرقابة)، غير أن أهمية الإدارة ووضوحها بشكل جلي لا يمكن ملاحظتها إلا حين يكبر حجم وعدد ونوع الإمكانات المتاحة ويتزايد عدد الأفراد المسخرين والمتعاونين والمراقبين للعمل وبذلك تتعد القيود مع كبر حجم الطموح المتمثل في الأهداف المسطرة.

2- الإدارة في الحضارات القديمة: إن العمل الإداري هو عمل تراكمي بين الحضارات فكل جيل يسلم لمن يليه مساهمة متمثلة في فكرة إدارية أو سلوكا أو إنجازا يعتبر رصيدا يمكن البناء عليه والاستفادة من تجربته، لذلك لا تعتبر الحضارات القديمة إدارات متكاملة بقدر ماهي مساهمات وشواهد على إعمال العقل الإداري والتي لا ينبغي التغافل عنها أو تجاهلها بل هي لبعض الأمم أمانة تاريخية ومرجع ينبغي الرجوع إليه فقد قال الإمام مالك في الاقتضاء: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها) ، بل إن منها ما أعجز المفكرين والإداريين والمهندسين المعاصرين، فالتمكين للأمم موجود بوجودها، قال تعالى معاتبا قريشا مذكرا إياها بالأمم التي قبلها كعادٍ وثمود وغيرهم من الأمم: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾الأحقاف 26.

الإدارة عند الفراعنة:3500ق م – 30 ق م.

ظهرت الحضارة الفرعونية في مصر بين البحر الأحمر والبحر المتوسط وبالذات على ضفاف نهر النيل ما بين 3500 إلى 30 قبل الميلاد بغزو الرومان لها.

في عصر الأسر المبكرة حوالي 3150 ق.م، بسط أول فرعون سيطرته على مصر السفلى عن طريق إنشاء عاصمة في ممفيس، التي أمكن من خلالها السيطرة على القوة العاملة والزراعة في منطقة الدلتا الخصبة، بالإضافة إلى السيطرة على حركة التجارة المتجهة إلى الشام. وقد عُكست سلطة ونفوذ الفراعنة في ذلك الوقت على وضع مقابرهم وهياكلها، والتي كانت تستخدم للاحتفال بالفرعون بعد وفاته، طورت الملكية قوتها بإضفاء الفراعنة لعامل الشرعية في سيطرة الدولة على الأرض والعمل والموارد التي لا غنى عنها لبقاء ونمو الحضارة المصرية القديمة.

يخطئ الكثير من الكتاب حين يتوجهون بالإشادة بالإدارة الفرعونية إلى الإنجازات الهندسية والمعمارية التي حققتها هذه الحضارة آنذاك، غير أن الحقيقة أن ذلك لا يمثل سوى المظهر الباقي من شواهد عن العمل الإداري الضخم الذي مارسه الفراعنة، فهو لا يمثل إلا بصمة لعُشُرِ الجهاز الإداري والمسمى بإدارة وتنفيذ المشروعات العامة، فقد كانت هناك تسعُ إدارات أخرى هي:

- مهام ضبط وتوزيع المياه.
- إدارة وتنظيم السخرة . (تعتبر السخرة أحد أشكال العبودية أو العمل الإجباري الذى طبقته الإدارة الفرعونية والتي قد تلجأ اليه السلطات المعاصرة كوسيلة للضغط السياسي أو لتعبئة العمال في أغراض التنمية الاقتصادية أو كوسيلة للتفرقة العنصرية أو الاجتماعية أو الدينية، وتحرم السخرة اتفاقية العمل الدولية رقم 105 لسنة 1957).
- مسح الأراضى والحيازات .

- اعادة توزيع الأرض دوريا .
- تنظيم التجارة الخارجية .
- جباية الضرائب.
- الدفاع عن الدولة والتنجيد .
- عمليات استخراج المعادن .
- شؤون البريد والمواصلات على مستوى الدولة.

وبالعودة إلى الإنجاز الذي تواترت الأدلة الكافية على إدارته وهو بناء الأهرامات والسدود والمعابد ضمن ما يعرف بإدارة وتنفيذ المشروعات العامة،

الإدارة عند الرومان: شهدت الحضارة الرومانية عدة إسهامات إدارية كان لها دور بارز في تقدم تلك الحضارة مقارنة مع قريناتها فقد كان المجتمع الروماني بمثابة تجمع بيروقراطي ضخم اتصف بـ:

- ظهور تقسيم العمل من خلال التخصص في الإنتاج (الغذاء، اللباس، الدواء، معدات حربية)
- توضيح سياسات العمل والحقوق والواجبات مع تحديد المهام والمسؤوليات وتنظيم أعمال المكاتب.
- اتساع دائرة اللامركزية في الأغراض الإدارية نظرا للاتساع الجغرافي للامبراطورية وصعوبة المواصلات والاتصالات.
- اعتماد الادارة البيروقراطية في إصدار التعليمات وضبط وتنسيق سلوك الأفراد.

الإدارة عند الإغريق: تجلى أغلب الإرث الإداري للحضارة الإغريقية في عمل الجيش باعتباره المؤسسة الأبرز والأقوى من بين مؤسسات المجتمع حينذاك، فقد تحمل الجهاز الإداري للجيش مسؤولية تأهيل وإعداد قادة الجيوش، تنظيم انخراط الشباب في الجيش وتوزيعهم على وحداته.

أما على مستوى المجتمع فقد كان ينقسم إلى طبقتين، طبقة الأسياد (الأشراف) وتتولى حكم البلاد ولها كافة الامتيازات، وطبقة العبيد ومسؤوليتها الأشغال اليدوية والشاقة.

الإدارة عند الصينيين: من أهم تجليات العمل الإداري في الصين القديمة نجد:

- استحداث نظام التوظيف على أساس الاختبارات لاستكشاف الكفاءات وبالأخص في المشاريع العمومية.
- اعتماد نظام التدريب للرؤساء والمشرفين على متطلبات العمل ومهامه والظروف المحيطة به والمناخ السائد.
- اعتماد نظام التقويم على الأمانة والاستقامة والتضحية والكفاءة وحسن المعاملة وحسن التصرف.

الإدارة في الحضارة الإسلامية: من يقرأ القرآن الكريم و ما جاء فيه من آيات كريمة ، و من يطلع على الحديث النبوي الشريف الذي جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم و على سيرة الخلفاء الراشدين ، لا بد أن يستنبط العديد من الأفكار و المفاهيم الإدارية المطبقة في عصرنا هذا مثال : ففيما يتعلق بالتخطيط أكد الإسلام على التخطيط طويل الأجل ، فقد و عدنا الله سبحانه و تعالى بالجنة إذا علمنا صالحا في الدنيا: (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم).

ولا تكاد تخلو نصوص القرآن الكريم كما لا تكاد تخلو سنة النبي محمد (ص) ولا سيرته وسيرة أصحابه رضي الله عنهم من تطبيقات الإدارة، والتوجيه بحسن استغلال الموارد والقدرات والقوى البشرية، إضافة إلى التحلي بالصفات الحسنة كالصبر والاجتهاد ومغالبة الهوى وضبط النفس والحث على العمل والتخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة.

إن العلم والعمل والقيام بالعبادات أمور مطلوبة من المسلم، فعليه واجبات تجاه ربه ونفسه ومجتمعه، ولكي يتسنى له القيام بهذه الواجبات يجب عليه أن يعطي كل واجب نصيبه من الوقت دون أن يطغى واجب على آخر، ومن ثمّ

لا يجد أمامه متسعاً من الوقت لأداء أحد هذه الواجبات، فالدين الإسلامي وتعاليمه السمحة تدعو إلى حسن استثمار الوقت وإدارته بفعالية، وهذا ما تدعو إليه الإدارة في عصرنا الحالي.